بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يتلى لإنسانية به ترقى

# الاختلاف في التفسير (أسبابه وأنواعه)

من كتاب (الأساس والتنوير في أصول التفسير)

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية

## القسم الخامس: الاختلاف في التفسير.. أسبابه وأنواعه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أشهر مدارس التفسير في عهد السلف.

المبحث الثاني: طرائق المفسرين.

المبحث الثالث: نوع الاختلاف بين المفسرين.

المبحث الرابع: أسباب الاختلاف بين المفسرين.

## المبحث الأول: أشهر مدارس التفسير في عهد السلف

محل التفصيل في هذا الباب كتب طبقات المفسرين، ومن أشهرها: طبقات المفسرين للسيوطي ﵀، ومثلها لتلميذه مُحَمَّد بن علي الداودي شمس الدين المصري الشافعي (ت٩٤٥هـ) ﵀، وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير ﵃، أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم: علي بن أبي طالب ﵁، والرواية عن الثلاثة قليلة، وكأن السبب في ذلك تقدم وفاتهم(١).

**فإن سألت: ما أشهر مدارس التفسير في عهد السلف؟**

**الجواب**: أشهر مدارس التفسير في عهد السلف ثلاث مدارس:

**أولاً: مدرسة التفسير بمكة:**

أستاذها هو حبر القرآن عبد الله بن عباس ﵄ (ت٦٨هـ)، وفيه قال المهاجرون لعمر بن الخطاب ﵁: «ادع أبناءنا كما تدعو ابن عباس ﵄، قال: ذاكم فتى الكهول إن له لسانًا سؤولًا، وقلبًا عقولًا»(٢)، وقال فيه عطاء ﵀: «ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ﵄، أكثر فقهًا، وأعظم خشية: إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من واد واسع»(٣).

**من أشهر رجال مدرسة التفسير في مكة من تلاميذ ؟**

الجواب: أشهر رجالها من تلاميذ عبد الله بن عباس ﵄:

١) سعيد بن جبير (ت٩٥هـ) ﵀.

٢) مجاهد بن جبر (ت١٠٤ ساجدًا) ﵀ قال خَصِيف بن عبد الرحمن الحراني (ت١٤٠هـ) فيه وفي أقرانه: "كَانَ أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيّب، وبالحجّ عطاء، وبالحلال والحرام طاووس، وبالتفسير أبو الحجّاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كلّه سعيد بن جبير"(٤)، وعن مجاهد ﵀ قال: "عرضت المصحف على ابن عباس ﵄ ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية، وأسأله عنها"(٥)، وقال مرة أخرى: "عرضت القرآن على ابن عباس ﵄ ثلاثين مرة"(٦)، "ولا تعارض بين هاتين الروايتين، لأن الإخبار بالقليل لا ينافي الإخبار بالكثير، ولعله عرض القرآن على ابن عباس ﵄ ثلاثين مرة لتمام الضبط، ودقة التجويد، وحُسْن الأداء،

---

(١) الإتقان (٢/ ٤٩٣).

(٢) المستدرك (٦٢٩٨)، وقال الذهبي: "منقطع". مختصر استدراك الحافظ الذهبي (٥/٢٢٢٩).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٤٨).

(٤) تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٩)، الوافي في الوفيات (١/ ٢٠٦٤).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٠٤).

(٦) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٨٠)، والدارمي (١/٧٢٥)، وقال المحقق:" إسناده صحيح".

وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات طلبًا لتفسيره"[١]، ولذا كان سفيان الثوري ﷺ يقول: إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به"[٢]، وقال عنه ابن تيمية ﷺ: "ذكر البخاري ﷺ في صحيحه تفسير مجاهد ﷺ،وهو أصح تفسير التابعين"[٣].

٣) عكرمة مولى ابن عباس (ت١٠٤هـ) ﷺ، وقد قال: قرأ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذه الآية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فقال: لم أدر أنجا القوم أم هلكوا؟ قال: فمَا زلت أُبيّن له حتى عرف أنهم نجوا، فكساني حُلَّة"[٤].

٤) طاووس بن كيسان اليماني (ت ١٠٦هـ) ﷺ، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيه: «إني لأظن طاووسًا من أهل الجنة»[٥].

٥) وعطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ) ﷺ الذي قال فيه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لأهل مكة إذا جلسوا إليه: «يا أهل مكة تجتمعون إليَّ وعندكم عطاء؟»، ومثله عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٦].

**ثانيًا: مدرسة التفسير بالمدينة:**

أستاذها أُبَيُّ بن كعب ﷺ (ت٣٢هـ)، الملقب بسيد القراء[٧]، وعرف بسيد المسلمين[٨].

**من أشهر رجال مدرسة التفسير في المدينة؟**

الجواب: أشهر رجالها من تلاميذ أُبَيّ بن كعب:

١) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي (ت٩٠ هـ) ﷺ.

٢) ومُحَمَّد بن كعب القرظي (ت١١٨هـ) ﷺ.

٣) وزيد بن أسلم العدوي (ت ١٣٦هـ) ﷺ، وكان علي بن الحسين ﷺ يجلس إليه، ويتخطى مجلس قومه، فقال له نافع بن جبير بن مطعم: تتخطى مجالس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب؟ فقال عليٌّ: "إنما يجلس الرجل إلى مَن ينفعه في دينه"[٩].

**ثالثًا: مدرسة التفسير بالعراق:**

وأستاذها عبد الله بن مسعود ﷺ (ت٣٢هـ)...كتب بشأنه عمر بن الخطاب ﷺ إلى أهل الكوفة: «إني قد بعثت عمارًا ﷺ أميرًا، وعبد الله بن مسعود ﷺ معلمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب مُحَمَّد ﷺ من أهل بدر وأحد فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم

---

(١) التفسير والمفسرون (١/٨٥).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٥).

(٣) الاستقامة(١/٢٢٤).

(٤) الطبري (٦/ ٩٣).

(٥) حلية الأولياء (٤/ ٤).

(٦) تهذيب الكمال (٢٠/ ٧٧).

(٧) انظر مثلاً: سنن الترمذي (٣/ ٣٧٥).

(٨) انظر مثلاً: سنن البيهقي الكبرى (٦/١٦٨).

(٩) تهذيب التهذيب (٣/ ٣٤٣).

بعبد الله ﷺ على نفسي»[١]، وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: قلت لحذيفة ﷺ أخبرنا برجل قريب الهدي والسمت من رسول الله ﷺ حتى نلزمه قال: «ما أعلم أحدًا أقرب هديًا وسمتا من رسول الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد»، قال عبد الرحمن: وقال حذيفة ﷺ: «لقد علم المحفوظون من أصحاب النبي ﷺ أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة»[٢].

**من أشهر رجال مدرسة التفسير في المدينة؟**

الجواب: أشهر رجالها من تلاميذ عبد الله بن مسعود ﷺ:

١) علقمة بن قيس النخعي الكوفي (ت٦١ هـ) ﷺ، وهو الذي قال فيه رياح بن المثنى ﷺ: حججت مع عمر أمير المؤمنين ﷺ ثلاث حجات، وأنا راجل، قال: وكان عبد الله ﷺ وعلقمة ﷺ يصفان الناس صفين عند أبواب كندة، فيقرئ عبد الله ﷺ رجلًا، ويقرئ علقمة ﷺ رجلًا، فإذا فرغا تذاكرا أبواب المناسك، وأبواب الحلال والحرام، فإذا رأيت علقمة ﷺ فلا يضرك ألا ترى عبد الله ﷺ أشبه الناس به سمتًا وهديًا"[٣].

٢) ومسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي العابد (ت٦٣هـ) ﷺ ، وقد حدَّث مسروق ﷺ بما يدل على أنه استفاد الكثير من التفسير عن أستاذه ابن مسعود ﷺ، فقال: كان عبد الله -يعني ابن مسعود- ﷺ يقرأ علينا السورة، ثم يُحدِّثنا فيها، ويُفسِّرها عامة النهار[٤]، وعن أبي إسحاق ﷺ أنه قال: "حج مسروق، فلم ينم إلا ساجدًا"[٥].

٣) وأبو عبد الرحمن الأسود بن يزيد النخعي (ت٧٤ هـ) ﷺ، وفيه قال الحكم ﷺ: "كان الأسود يصوم الدهر، وذهبت إحدى عينيه من الصوم"[٦].

٤) وأبو إسماعيل مُرَّة بن شراحيل الهمداني (ت٧٦هـ) ﷺ، المعروف بمُرَّة الطيب، ومُرَّة الخير. لُقِّبَ بذلك لعبادته، وشدة ورعه، وكثرة صلاحه، وقال فيه الحارث الغنوي ﷺ: "سجد مرة الهمداني ﷺ حتى أكل التراب وجهه"، قال: "فلما مات رآه رجل من أهله في منامه كأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدري". قلت: ما هذا الذي أرى بوجهك؟ قال: "كسي موضع السجود بأكل التراب نورًا". قلت: فما منزلتك في الآخرة؟ قال: "خير منزلة دار، لا ينتقل عنها أهلها، ولا يموتون"[٧].

---

(١) المعجم الكبير (٩/ ٨٦).

(٢) مسند الطيالسي، برقم ٤٢٧ (ص: ٥٧).

(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٤٥).

(٤) الطبري (١/ ٦٠).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٤٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٦٢) وقال المحقق: رجاله موثقون.

(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ٧٠)، تهذيب التهذيب (١/ ٢٩٩).

(٧) المنامات (ص: ٥١).

٥) وأبو عمرو، عامر بن شراحيل الشعبي الحميري (ت١١٠هـ) ﵀، وفيه قال ابن عيينة ﵀: كان الناس تقول بعد الصحابة: ابن عباس ﵄ في زمانه، والشعبي ﵀ في زمانه، والثوري ﵀ في زمانه[١].

٦) وأبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري مولى الأنصار (ت١١٠هـ) ﵀[٢]، وأُمه خيرة مولاة أُم سلمة زوج النبي ﷺ، وفيه قال أنس بن مالك ﵁: "سلوا مولانا الحسن". قالوا: يا أبا حمزة نسألك، تقول: سلوا الحسن مولانا؟ قال: "سلوا مولانا الحسن، فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا"[٣]، وقال فيه مطر الوراق ﵀: "كان جابر بن زيد ﵀ رجل أهل البصرة، فلما ظهر الحسن ﵀، جاء رجل كأنما كان في الآخرة، فهو يخبر عما رأى وعاين"[٤]، وقال الحجاج بن أرطأة ﵀: سألت عطاء ﵀ عن القراءة على الجنازة. قال: "ما سمعنا ولا علمنا أنه يقرأ عليها". فقلت: إن الحسن ﵀ يقول يقرأ عليها، قال: "عليك بذاك، ذاك إمام ضخم، يقتدى به"[٥]، وكان إذا ذُكِر عند أبي جعفر الباقر ﵀ قال: "ذلك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء"[٦].

وهؤلاء المذكورون ممن يصدق عليهم قول النبي ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[٧].

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٥٦).

(٢) قال شيخنا المحقق عبد الله يوسف الجديع: " في مدرسة التفسير في العراق ذكر ابن مسعود ﵁، ثم تحت عنوان " أشهر رجالها تلاميذه" وسيقت أسماء ستة من التابعين، لا إشكال في الأربعة الأولين منهم أنهم تلامذة ابن مسعود ﵁، لكن الخامس وهو عامر الشعبي، ليس من تلامذة ابن مسعود ﵁، فهو لم يدرك السماع منه. والسادس وهو الحسن البصري، ماهو من تلامذة ابن مسعود ﵁ بلاتردد، وإنما كان أصحاب ابن مسعود ﵁ بالكوفة، والحسن البصري ﵀. كان صبيًا حين مات ابن مسعود ﵁، كما أنه كان يومئذ بالمدينة قبل أن يصير إلى البصرة، وابن مسعود ﵁ يومئذ بالكوفة".

(٣) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٤).

(٤) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٥).

(٥) تهذيب الكمال (٦/ ١١٠).

(٦) تهذيب الكمال (٦/ ١١٨).

(٧) مسند الشاميين (١/ ٣٤٤)، أسد الغابة (١/ ٢٥)، الإصابة (١/ ٢٢٥)، حكم ابن القطان بإرساله، وضعفه في (بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام) (٣/ ٣٩)، وقال مهنأ قلت لأحمد: "حديث معان بن رفاعة، كأنه كلام موضوع"، قال: "لا بل هو صحيح".لسان الميزان (١/ ٧٧).

## المبحث الثاني: طرائق المفسرين[١]:

### ما الطرق التي سلكها المفسرون في التفسير؟

الجواب: هناك عدة طرق سلكها المفسرون، تسير في خطوط متوازية، ولا تسير في خطوط متضادة...وإذا سلك المفسر للقرآن أحدها عد مفسرًا للقرآن، ويمكن تلخيصها في الآتي:

**الطريقة الأولى: الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للمفردة القرآنية أو للتركيب القرآني مع بيانه وإيضاحه– وهذا هو الأصل-:**

وبعض التفاسير لم تزد على بيان معنى المفردة القرآنية، كما في (تفسير الجلالين)، وأوسع منه (مفاتح فهم القرآن) للدكتور أحمد الإمام ﷾، وبعضها إن جاوزت ذلك فإلى التركيب القرآني ضمن الآية الواحدة، أو مجموعة من الآيات المتقاربة لا غير، كما في (تفسير السعدي) ﷺ، وأوسع منه (أيسر التفاسير)، وغالبًا ما يرجع تفسير النسفي، والبيضاوي –رحمهما الله– إلى هذا المنهج...مع نكات بليغة يعرضها النسفي ﷺ في تفسيره؛ كقوله تعقيبًا على الصورة التي ترسمها الآيات في قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:١٣-١٥] "أي: يقال لهم استهزاء بهم: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم، لعلكم تسألون غدًا عما جرى عليكم، ونزل بأموالكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو ارجعوا واجلسوا، كما كنتم في مجالسكم، حتى يسألكم عبيدكم، ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم، ويقولوا لكم: بم تأمرون؟ وكيف نأتي ونذر؟ كعادة المنعمين المخدمين، أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب، أو يسألكم

(١) بعضه مأخوذ من التحرير والتنوير (١/ ٢٠) بتصرف واختلاف.

الوافدون عليكم والطماع، ويستمطرون سحاب أكفكم، أو قال بعضهم لبعض: لا تركضوا وارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون مالاً وخراجًا فلا تقتلون، فنودي من السماء يا لثارات الأنبياء وأخذتهم السيوف"[(١)].

**الطريقة الثانية: استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن:**

وتلك هي مستتبعات التراكيب، وهي من خصائص اللغة العربية، المبحوث فيها في علم البلاغة والأصول؛ ككون التأكيد يدل على إنكار المخاطب، أو تردده، وكفحوى الخطاب، ودلالة الإشارة، واحتمال المجاز مع الحقيقة، كأن يفسر ما حكاه الله تعالى في قصة موسى عليه السلام مع الخضر بكثير من آداب المعلم والمتعلم،كما فعل الغزالي رحمه الله. وقد قال ابن العربي رحمه الله: إنه أملى عليها ثمانمائة مسألة...ويدخل في هذا معظم التفاسير المتوسعة، ولكل منها وجهتها الغالبة لا الكلية: كالوجهة الفقهية في تفسير ابن العربي، والقرطبي رحمهما الله-، والوجهة اللغوية والبيانية في تفاسير (الكشاف)، والبيضاوي، وأبي السعود، والنسفي —رحمهم الله-، وأخيرًا (التحرير والتنوير)، والوجهة التصويرية كـ(الظِّلال) الذي لم يؤلف مثله على نسيجه، والوجهة العامة كتفسير الطبري رحمه الله (سيد التفاسير)، والوجهة الأثرية بتفسير القرآن بالسنة غالبا كتفسير ابن كثير رحمهم الله جميعًا.

**الطريقة الثالثة: أن يجلب المسائل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى، أو لأن زيادة فهم المعنى متوقفة عليها، أو للتوفيق بين المعنى القرآني وبين بعض العلوم، مما له تعلق بمقصد من مقاصد التشريع:**

وكل ذلك لزيادة تنبيه إليه، أو لرد مطاعن من يزعم أنه ينافيه، لا على أنها مما هو مراد الله عز وجل من تلك الآية، بل لقصد التوسع مما يومئ إليه معنى الآية ولو بتلويح ما، كأن نأخذ من قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر:٧] تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي، وتوزيع الثروة العامة، ونعلل بذلك مشروعية الزكاة، والمواريث، والمعاملات المركبة من رأس مال وعمل على أن ذلك تومئ إليه الآية إيماء، وكذلك تقرير مسائل من علم التشريح لزيادة بيان قوله تعالى في خلق الإنسان ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج:٥] الآيات، فإنه راجع إلى المقصد وهو مزيد تقرير عظمة القدرة الإلهية.. ويدخل في ذلك تفاسير الإعجاز العلمي، والتشريعي، والقانوني، والإصلاحي الإرشادي، والتربوي، والنفسي، والاقتصادي...كما يدخل في هذا التفسير الموضوعي.

**ما المأخذ الذي قد يؤخذ على هذه الطريقة؟**

الجواب: وهذه الطريقة رغم حسن مقاصد سالكيها، وصحة نوايا متبعيها إلا أنها ربما آلت ببعضهم إلى البعد عن النص القرآني ودلالاته ومنازعه حتى خرجوا بذلك عن محيط التفسير، وبيان كلام العليم الخبير إلى أحاديث ذات شعب، مالها بالتفسير نسب ولا سبب، فيتوجب زم الكلام في مثل ذلك بخطام، وضبط الكلام بأوثق لجام.

---

(١) تفسير النسفي(٢/ ٣١٧).

## المبحث الثالث: أنواع الاختلاف بين المفسرين[١]:

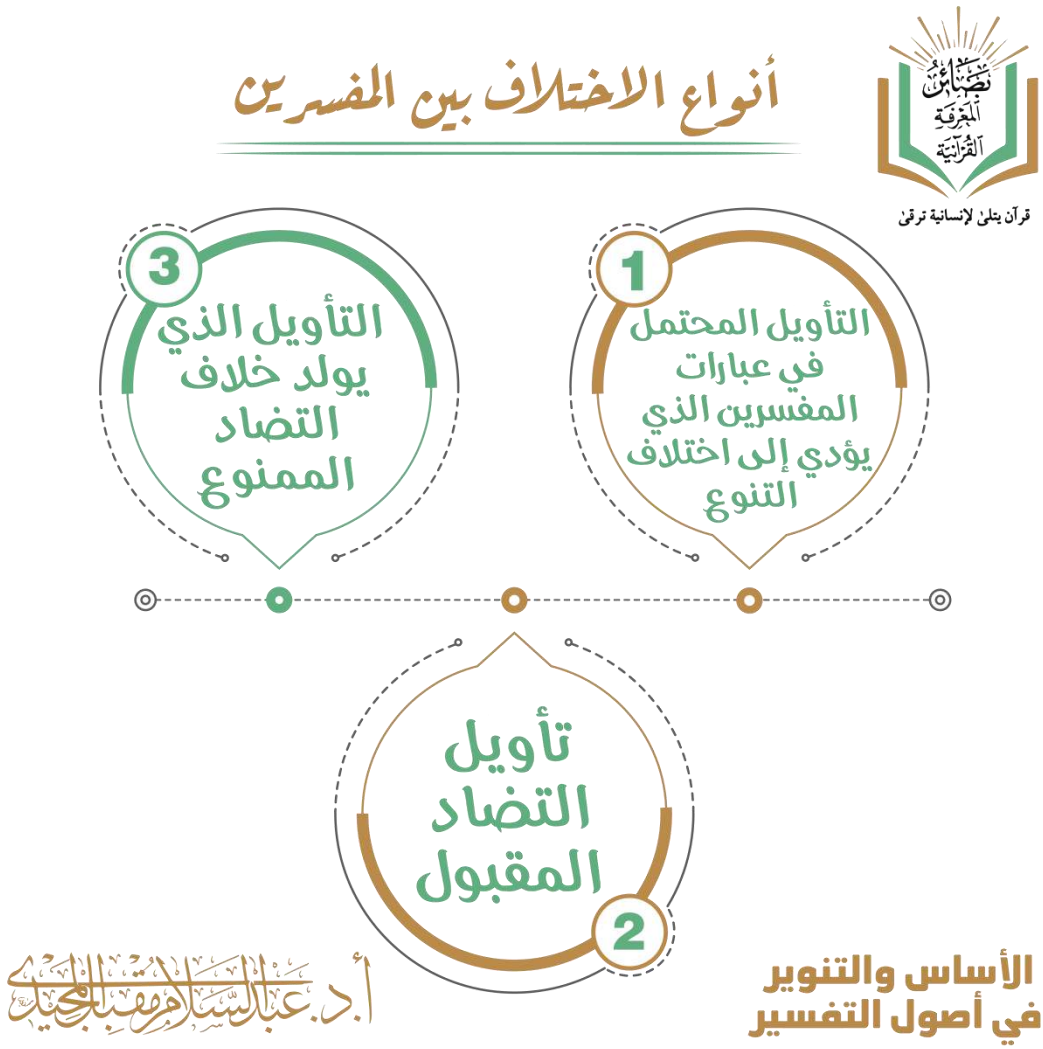


وضع ابن تيمية ﷺ لذلك قاعدة فقال: "الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد"[٢].

### أقسام الخلاف بين المفسرين:

ويمكن تقسيم الخلاف الوارد بين المفسرين إلى ثلاثة أقسام:

**الأول: التأويل المحتمل في عبارات المفسرين الذي يؤدي إلى اختلاف التنوع:**

وهذا النوع من التأويل سماه الزركشي ﷺ التأويل المنقاد حيث قسم التأويل إلى منقاد ومستكره، وذكر أن التأويل المنقاد هو ما لا تعرض فيه بشاعة أو استقباح، وقد يقع فيه الخلاف بين الأئمة لسبب من الأسباب الآتية:

---

(١) ناقش الكاتب الموضوع باختصار وإيماءات سريعة؛ إذ محله في مناهج المفسرين، وأغلب المذكور في هذه الفقرة ذكره ابن تيمية ﷺ في مقدمة التفسير (ص: ٤٨)، ونقله عنه السيوطي ﷺ في الإتقان (٢/ ٤٦٩)، وطاهر الجزائري ﷺ في توجيه النظر إلى أصول أهل الأثر (١/ ٣٨)، وذكر الزركشي ﷺ في البرهان (٢/ ١٧٨) نبذًا صالحة في هذا الموضوع يمكن الرجوع إليها.

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٣).

١) اختلاف العبارات والمراد واحد: بأن يعبر كل واحد منهما -أي من المختلفين- عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى... كما قيل في اسم السيف الصارم (بمعنى القاطع)، والمهند (بالنسبة إلى صناعته في الهند)، وذلك مثل أسماء الله ﷻ الحسنى وأسماء رسوله ﷺ وأسماء القرآن، فإن أسماء الله ﷻ كلها تدل على مسمى واحد، فليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضادًّا لدعائه باسم آخر، بل الأمر، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وكتفسيرهم الصراط المستقيم: بعضٌ بالقرآن، وبعض بالإسلام، فالقولان متفقان؛ لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر، كما أن لفظ صراط يشعر بوصف ثالث، وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة، وقول من قال هو طريق العبودية، وقول من قال هو طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، وأمثال ذلك فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها[١]، وفي هذا يقول الزركشي ﵀: "يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم عنده أن في ذلك اختلافًا فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه لأنه أظهر

(١) ونقله عن ابن تيمية ﵀ في الإتقان (٢/ ٤٦٩)، وطاهر الجزائري ﵀ في توجيه النظر إلى أصول أهل الأثر (١/ ٣٨).

عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالبًا، والمراد الجميع فليتفطن لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات كما قيل:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشير"[(١)].

وكما قال القرطبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦] "جمع الوثقى الوُثَق، مثل: الفُضْلى والفُضَل... واختلفت عبارة المفسرين في الشيء المشبه به؛ فقال مجاهد ﷺ: العروة: الإيمان، وقال السدي ﷺ: الإسلام، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك: لا إله إلا الله، وهذه عبارات ترجع إلى معنى واحد"[(٢)]. وهذه العبارة (ترجع إلى معنى واحد) متكررة في كلام المفسرين.

٢) أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع... ومثاله: ما نقل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا... ﴾ [فاطر:٣٢] الآية فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات، والمنتهك للحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات، وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات، فالمقتصدون أصحاب اليمين، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١٠-١١]، ثم إن كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات كقول القائل: السابق الذي يصلي أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار، أو يقول: السابق المحسن بالصدقة مع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة فقط، والظالم مانع الزكاة[(٣)].

٣) ما يكون اللفظ فيه محتملا للأمرين: إما لكونه مشتركًا في اللفظ (وهو ما اتحد لفظه وتعدد معناه) –كلفظ: ﴿ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر:٥١] الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد[(٤)]، ولفظ ﴿عَسْعَسَ﴾ [التكوير:١٧] الذي يراد به إقبال الليل، وإدباره[(٥)]، وكقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] هل هو من بصر العين أو القلب.

وإما لكونه متواطئًا بأن طابق لفظه معناه...في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين، أو أحد الشيئين،كلفظ: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ [الفجر:١]: قال بعضهم: هو النهار، وقال آخرون: هو صلاة الفجر[(٦)].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٥٩).

(٢) تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٧).

(٣) ينظر: تفسير القاسمي (١/١٥، ١٦).

(٤) ينظر: الكشاف (٤/٦٥٦).

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/٤١٨).

(٦) ينظر: تفسير الرازي (٣١/١٤٨).

٤) أن يختلفوا في التفسير بسبب أمر راجع إلى النظم، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [النور:٥] في حد القذف: هل هذا الاستثناء مقصور على المعطوف وحده؟ أو عائد إلى الجميع؟

٥) أن يختلفوا في التفسير لغموض المعنى ووجازة النظم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٧]، فقد اختلف أهل التأويل في هذه الآية، فقال بعضهم: معنى ذلك: للذين يؤلون أن يعتزلوا من نسائهم تربص أربعة أشهر، فإن فاءوا فرجعوا إلى ما أوجب الله لهن من العشرة بالمعروف في الأشهر الأربعة، فإن الله لهم غفور رحيم، وإن تركوا الفيء إليهن في الأشهر الأربعة التي جعل الله لهم التربص فيهن حتى ينقضين، طُلِق منهم نساؤهم اللاتي آلوا منهن بمضيهن... وقال آخرون: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ [البقرة:٢٢٦] على الاعتزال من نسائهم تنظر أربعة أشهر بأمره وأمرها ﴿فَإِن فَآءُو﴾ [البقرة:٢٢٦] بعد انقضاء الأشهر الأربعة إليهن فرجعوا إلى عشرتهن بالمعروف وترك هجرانهن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢٦ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ فأحدثوا لهن طلاقًا بعد الأشهر الأربعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لطلاقهم إياهن ﴿عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦- ٢٢٧] بما فعلوا بهن من إحسان وإساءة...[(١)].

٦) ومن الأقوال الموجودة عنهم -ويجعلها بعض الناس اختلافًا- أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة... وقلَّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن: فإذا قال القائل: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور:٩] إن المور الحركة كان تقريبًا، إذ المور حركة خفيفة سريعة.

٧) اختلاف في اللفظ والمعنى، والآية تحتمل المعنيين أو المعاني لعدم التضاد بينها، فتحمل الآية عليها، وتفسر بها، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل، لما تعنيه الآية أو التنويع، مثاله قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف:١٧٦] قال ابن مسعود ﷺ: هو رجل من بني إسرائيل، وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه: رجل من أهل اليمن، وقيل: رجل من أهل البلقاء، والجمع بين هذه الأقوال: أن تحمل الآية عليها كلها؛ لأنها تحتملها من غير تضاد، ويكون كل قول ذكر على وجه التمثيل[(٢)].

٨) اختلاف المفسرين في أمر يحتاج إلى النقل مع عدم وجود نص صريح، وذلك بأن يقول كل بظنه، فيجمع بين قولهما ما أمكن الجمع: كما بيَّن ابن حجر ﷺ اختلاف السلف في تعيين آخر ما نزل فقال البراء ﷺ: خاتمة سورة النساء، وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: آية الربا، وهذا اختلاف بين الصحابيين، ولم ينقل واحد منهما ذلك عن النبي ﷺ"[(٣)]، فيجمع بينهما بأن كلاً منهما

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٤٠).

(٢) أصول التفسير للعثيمين (ص: ٤٤).

(٣) فتح الباري (١٢/ ٢٧).

استقرأ بحسب اجتهاده، وأراد النسبية أو الإضافية في كلامه، ولا يريد الآخرية المطلقة[١]، فالقولان صحيحان.

**الثاني: تأويل التضاد المقبول:**

هو اختلاف اللفظ والمعنى، والآية تحتمل المعنيين معًا رغم التضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٧] قال على بن أبي طالب ﷺ في الذي بيده عقدة النكاح: هو الزوج، وقال ابن عباس ﷺ: هو الولي، والراجح الأول؛ لدلالة المعنى عليه، ولأنه قد روي فيه حديث عن النبي ﷺ[٢].

**الثالث: التأويل الذي يولد خلاف التضاد الممنوع[٣]:**

وهذا الذي سماه الزركشي ﷺ التأويل المستكره، وعرفه بأنه ما يستبشع إذا عرض على الحجة، ويعرف في كتب الأصول بالتأويل الفاسد، حيث بني على دليل ضعيف، أو شبهة دليل[٤]، ومن أسبابه:

---

(١) فتح الباري (٨/ ٣١٦). وانظر أيضًا: عمدة القاري (١١/ ٢٠٢)، فتح الباري (٨/٢٠٥).

(٢) أصول التفسير للعثيمين (ص: ٤٤).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٨٣).

(٤) يقسم علماء أصول الفقه وغيرهم التأويل إلى صحيح، وفاسد، ولعب، فمتى كان الدليل صحيحًا كانت التأويل صحيحًا، ومتى كان ضعيفًا كان فاسدًا، ومتى عُدم الدليل كان التأويل لعبًا، كتأويلات الروافض، والباطنية، وغيرهم ينظر: الموافقات (٣/ ٣٣٢)، ونشر البنود على مراقي السعود (١/ ٢٧٠).

## أسباب الاختلاف المؤدي إلى التضاد الممنوع

١) اعتقاد معانٍ محددة، ثم حمل ألفاظ القرآن عليها، كمن يعتقد نفي الصفات، ثم يستدل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فهؤلاء راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، وهم صنفان:

تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وهو ما يعرف بالتعطيل، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به، وهو المسمى تأويلاً فاسدًا[(١)].

٢) أن يكون لفظًا عامًّا فيختص ببعض ما يدخل تحته دون دليل على التخصيص، كقوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤] فحمله بعضهم على علي ﷺ فقط، أو كما قيل في: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح:٢٩] قالوا: أبو بكر ﷺ، فجعلوا يعددون العشرة المبشرين على تقسيم الآية...وهذا حالة خاصة من سابقه، وهذان يروجان على المتفقهة الذين لم يتبحروا في معرفة الأصول[(٢)].

٣) تفسير القرآن بمقتضى اللفظ العربي من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن –وهو الله ﷻ– والمنزل عليه –وهو النبي ﷺ– والمخاطَب به– وهم المرسل إليهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٦).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٧٩).

وهؤلاء راعَوا مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به عندهم العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام، والتفسير النقلي، كمن يفسر ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ [الإسراء:٥٩] بأن مبصرة حال من الناقة بمعنى بصر العين[١].

٤) أن يلفق بين اثنين كقول من زعم تكليف الحيوانات في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤] مع قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام:٣٨][٢].

٥) ما أشعر باشتقاق بعيد، كما قال بعض الباطنية في البقرة: إنه إنسان يبقر عن أسرار العلوم، وفي الهدهد إنه إنسان موصوف بجودة البحث والتنقيب[٣]، وهذا الذي يسميه علماؤنا بتأويل اللعب؛ حيث لا دليل عليه وإنما هي تأويلات باطنة يدعون أن لهم علمًا خاصًا، لا يدركه إلا خواصهم.

---

(١) التفسير والمفسرون (١/ ١٨٥).

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ١١).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٧٩).

المبحث الرابع: أسباب الاختلاف بين المفسرين

**ما أسباب الاختلاف بين المفسرين؟**

الجواب: تتلخص أسباب الاختلاف بين المفسرين في الآتي:

١) **احتمال النص لتفسيره على الوجوه المختلفة، واقتصار المفسر على بعضها**، وأمثلته كثيرة مما تقدم.

٢) **خفاء معنى اللفظ لكونه من قبيل المشترك:**

كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء:٣] فأهم ما ورد فيه خمسة معانٍ:

- ألا تميلوا عن الحق وتجوروا، كما في قول الشاعر:

قـالوا اتبعنـا رسـول الله واطرحـوا قـول الرسـول وعـالوا في المـوازين[١]

- وعال الرجال يعيل: إذا افتقر فصار عالة، ومنه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة:٢٨].

(١) البيت بلا نسبة في الصحاح للجوهري (٥/١٧٧٧).

- وعالني الشيء يعولني: إذا غلبني وثقل علي، وعال الأمر اشتد وتفاقم، ومنه عيل صبري.
- عال: قام بمئونة العيال، ومنه قوله ﷺ: «وابدأ بمن تعول»[(١)].
- وقال الشافعي رحمه الله: ألا تكثر عيالكم، وسبقه زيد بن أسلم، وجابر بن زيد –رحمهما الله–، وهي لغة حمير، ومنه:

وإن المـــوت يأخـــذ كـــل حـــي لا شـــك وإن أمشـــى وعـــالا

يعني وإن كثرت ماشيته وعياله، وقدح البعض في تأويل عال من العيال؛ لخفاء المغنى الذي ذكره الشافعي رحمه الله، ومع التأمل نجد من العرب من يقول به[(٢)].

٣) **الذهول عن النصوص الأخرى التي تبينه:**

فقد قال عكرمة ومجاهد –رحمهما الله– في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف:١٧٥] هو بلعام، وأوتي النبوة، فرشاه قومه على أن يسكت، ففعل وتركهم على ما هم عليه، قال الماوردي رحمه الله: "وهذا غير صحيح؛ لأن الله تعالى لا يصطفي لنبوته إلا من علم أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته"[(٣)]، ففي هذا القول ذهول عن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج:٧٥].

٤) **عدم سماع نص نبوي يفسره:** كما في آية الظلم قبل سماع النبي ﷺ يفسرها، وكما في آية البقرة: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ...﴾ [البقرة:٢٨٤] قبل نزول آخر آية في البقرة لتخصص معناها.

٥) **الغلط في فهم النص:**

كما ورد عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال لكعب الأحبار رحمه الله: أنت تقول: إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب رحمه الله: إن كنت قلت ذلك، فإن الله تعالى قال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ [الكهف:٨٤] وهذا الإنكار صوبه ابن كثير رحمه الله، والخلل يعود إلى الإسرائيليات التي ينقل منها بعضهم، وغالبها مُبدل، مُصحَّف، محرف، مختلق، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله ﷺ إلى شيء منها بالكلية؛ فإنه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض، وتأويل كعب رحمه الله قول الله عز وجل: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ [الكهف:٨٤] واستشهاده في ذلك على ما يجده في صحفه من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح، فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك، ولا إلى الترقي في أسباب السماوات، وقد قال الله عز وجل في حق بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل:٢٣] أنه مما يؤتى مثلها من الملوك، وهكذا ذو القرنين يسر الله عز وجل له الأسباب، أي الطرق

---

(١)البخاري (٥٣٥٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/٥).

(٣) تفسير القرطبي (٢٨٠/٧).

والوسائل إلى فتح الأقاليم والبلاد والأراضي، وكسر الأعداء، وكبت ملوك الأرض، وإذلال أهل الشرك، فقد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببًا[١].

٦) **اعتقاد معارض راجح**[٢]:

كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾ [الطلاق:٢] الإمساك بالمعروف هو القيام بما يجب لها من حق على زوجها، ولذلك قال جماعة من العلماء: إن من الإمساك بالمعروف أن الزوج إذا لم يجد ما ينفق على الزوجة أن يطلقها، فإن لم يفعل خرج عن حد المعروف، فيطلق عليه الحاكم من أجل الضرر اللاحق لها من بقائها عند من لا يقدر على نفقتها[٣]، والجوع لا صبر عليه، وبهذا قال مالك، والشافعي، وأحمد، وقال سعيد بن المسيب ﷺ: إن ذلك سنة[٤]، واحتجوا بما ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «أفضل الصدقة ما ترك غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»: تقول المرأة: إما أن تطعمني، وإما أن تطلقني، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني إلى مَنْ تَدَعُني. فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: «لا! هذا من كيس أبي هريرة»[٥].

وقالت طائفة: لا يفرق بينهما، ويلزمها الصبر عليه، وتتعلق النفقة بذمته بحكم الحاكم، وهذا قول عطاء، والزهري، وإليه ذهب الكوفيون، والثوري[٦]، واحتجوا بمعارض راجح الدلالة عندهم، وهو دليلان: قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ﴾ [البقرة:٢٨٠] وقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ [النور:٣٢] فندب تعالى إلى إنكاح الفقير، فلا يجوز أن يكون الفقر سببًا للفرقة، وهو مندوب معه إلى النكاح، وأيضا فإن النكاح بين الزوجين قد انعقد بإجماع فلا يفرق بينهما إلا بإجماع مثله، أو بسنة عن الرسول الله ﷺ لا معارض لها[٧].

٧) **البدع الباطلة التي دعت أهلها** إلى أن حرفوا الكلم عن مواضعه، وفسروا كلام الله ﷻ ورسوله ﷺ بغير ما أريد به، وتأولوه على غير تأويله[٨].

**والستة الأول يعذر بها صاحبها، أما السابع فلا عذر له إلا بالتجرد من الهوى**، وألف ابن تيمية ﷺ في الأسباب التي يعذر بها صاحبها: (رفع الملام عن الأئمة الأعلام).

طريقة التعامل مع الأقوال المختلفة في التفسير:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٣٦/٣).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٥/ ٣٧٦).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٧٠).

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ١٥٥).

(٥) البخاري(٥٣٥٥).

(٦) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٧/ ٥٣٢).

(٧) تفسير القرطبي (٣/ ١٤٧).

(٨) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٢).

لخص ذلك ابن تيمية ﵀ في القواعد الآتية:

١) تُستوعب الأقوال في ذلك المقام.

٢) ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل.

٣) تذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فيشتغل به عن الأهم.

٤) فأما من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضًا، فإن صحح غير الصحيح عامدًا فقد تعمد الكذب، أو جاهلًا فقد أخطأ[١].

**قاعدة: ليس كل ما نقل في كتب التفسير مفيدًا، أو مطلوبًا، أو صحيحًا:**

كاختلاف المفسرين في لون كلب أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضَرَبَ به موسى ﵇ من البقرة، وفي مقدار سفينة نوح ﵇ وما كان خشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، ونحو ذلك، وإنما لم يوضح وبقي مبهمًا؛ لعدم الاحتياج إليه "، أما ما يحتاج المسلمون إلى معرفته فإن الله

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٨).

ﷻ نصب على الحق فيه دليلًا"[١]، ومما صح منه اسم صاحب موسى ﷺ أنه الخضر، بل قد يفرط بعض المفسرين بكثرة النقول مما يدخل معه المرفوض علميًّا والمقبول، حتى قال الزرقاني ﷺ: "ولكن الولوع بكثرة النقول نأى بهم عن الاقتصار على التفسير المقبول"[٢].

**كيفية عمل المفسر في تفسير القرآن (كيف يَفهم القرآن ويُفهمه):**

ذكر عدد من أهل العلم كيف يرتب المفسر عمله في تفسير القرآن، فقالوا: يكون ذلك على النحو الآتي:

يبدأ بالعلوم اللفظية بتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن...ويتأتى ذلك بثلاثة علوم:

**علم اللغة**: من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها.

**علم التصريف**: من جهة الهيئات، والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة.

**علم الاشتقاق**: من جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها.

ثم يبحث عن المعاني بحسب التركيب، وفصل علماؤنا ذلك تفصيلاً يحتاج إليه الباحث[٣].

**ما أقسام التفسير في رأي المؤلف؟**

وعندي ينبغي تقسيم التفسير إلى جهتين:

**الجهة الأولى: التفسير الإجمالي:**

فالأصل في التفسير العام الذي يراد منه التماس هداية القرآن: البحث عن المعنى الإجمالي، والنظر إليه في سياقه التاريخي، والموضوعي، وربطه بمثيله وما يقاربه في القرآن الكريم، إذ إن الاستغراق في الجزئيات قد يفقد روعة القرآن في لفظه، وجماله في معناه، ولذا قيل: "من يوم أن بدأ المفسرون يشقون الشعرة في التأويل والتوجيه، أصبح علم التفسير غريبًا، قليل الوجود"[٤]...فـ"يجب على المفسر ملاحظة أن القرآن كتاب هداية وإعجاز، وأن يجعل هدفه الأعلى ومقصده الأسمى إظهار هدايات الله ﷻ من كلامه، وبيان وجوه إعجازه في كتابه؛ ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢]"[٥].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص:٢٠).

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٢٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٧٣)، الإتقان (٢/ ٤٨٨).

(٤) الفوز الكبير (ص:٢٤٠) مع الشرح.

(٥) مناهل العرفان (٢/ ٢٦).

**الجهة الثانية: التفسير التجزيئي:**

**قد تسأل: لماذا نحتاج إلى التفسير التجزيئي؟**

الجواب: يحتاج إليه أشد الحاجة:

١) إما لتنقيح مسألة تحتاج إلى التدقيق، كالمسائل اللغوية، أو الفقهية.

٢) لبيان دقة التركيب اللفظي في القرآن الكريم.

٣) أو لبيان الإعجاز الوضعي للكلمة من الناحية البيانية، أو من ناحية الإعجاز العلمي، أو التشريعي:

فمثلاً: قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه:٣٩] "والضمائر كلها راجعة إلى موسى عليه السلام، ورجوع بعضها إليه، وبعضها إلى التابوت: فيه هجنة لما يؤدي إليه من تنافر النظم. فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل. قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى عليه السلام في جوف

التابوت؛ حتى لا تفرق الضمائر، فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر"[١].

**قاعدة: أهل المعاني هم من ألفوا كتبًا في معاني القرآن:**

"قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح ﷺ: وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني، فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج، والفراء، والأخفش، وابن الأنباري —رحمهم الله—"[٢] وذلك كما في قول القرطبي ﷺ: "وقال أهل المعاني: وصف الله تعالى قلوب الكفار بعشرة أوصاف..."[٣].

**أسئلة تقويمية:**

س١: ما أشهر مدارس التفسير في عهد السلف؟

س٢: من شيخ المدرسة التفسير في مكة؟ ومن أشهر رجالها؟

س٣: من شيخ المدرسة التفسير في المدينة؟ ومن أشهر رجالها؟

س٤: من شيخ المدرسة التفسير في الكوفة؟ ومن أشهر رجالها؟

س٥: ما الطرق التي سلكها المفسرون في التفسير؟

س٦: ما المأخذ الذي قد يؤخذ على الطريقة الثالثة؟

س٧: اذكر أنواع الاختلاف بين المفسرين.

س٨: ما التأويل المنقاد؟

س٩: اذكر أسباب اختلاف التنوع بين المفسرين. ومثِّل لكل سبب بمثال.

س١٠: ما التأويل المستكره؟ وما أسبابه؟

س١١: ما أسباب الاختلاف بين المفسرين؟ وضح ذلك بالأمثلة.

س١٢: اذكر طريقة التعامل مع الأقوال المختلفة في التفسير، كما ذكرها ابن تيمية.

س١٣: لماذا نحتاج إلى التفسير التجزيي؟

---

(١) الكشاف (٦٣/٣).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢٩١/١).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ٢٣٢).